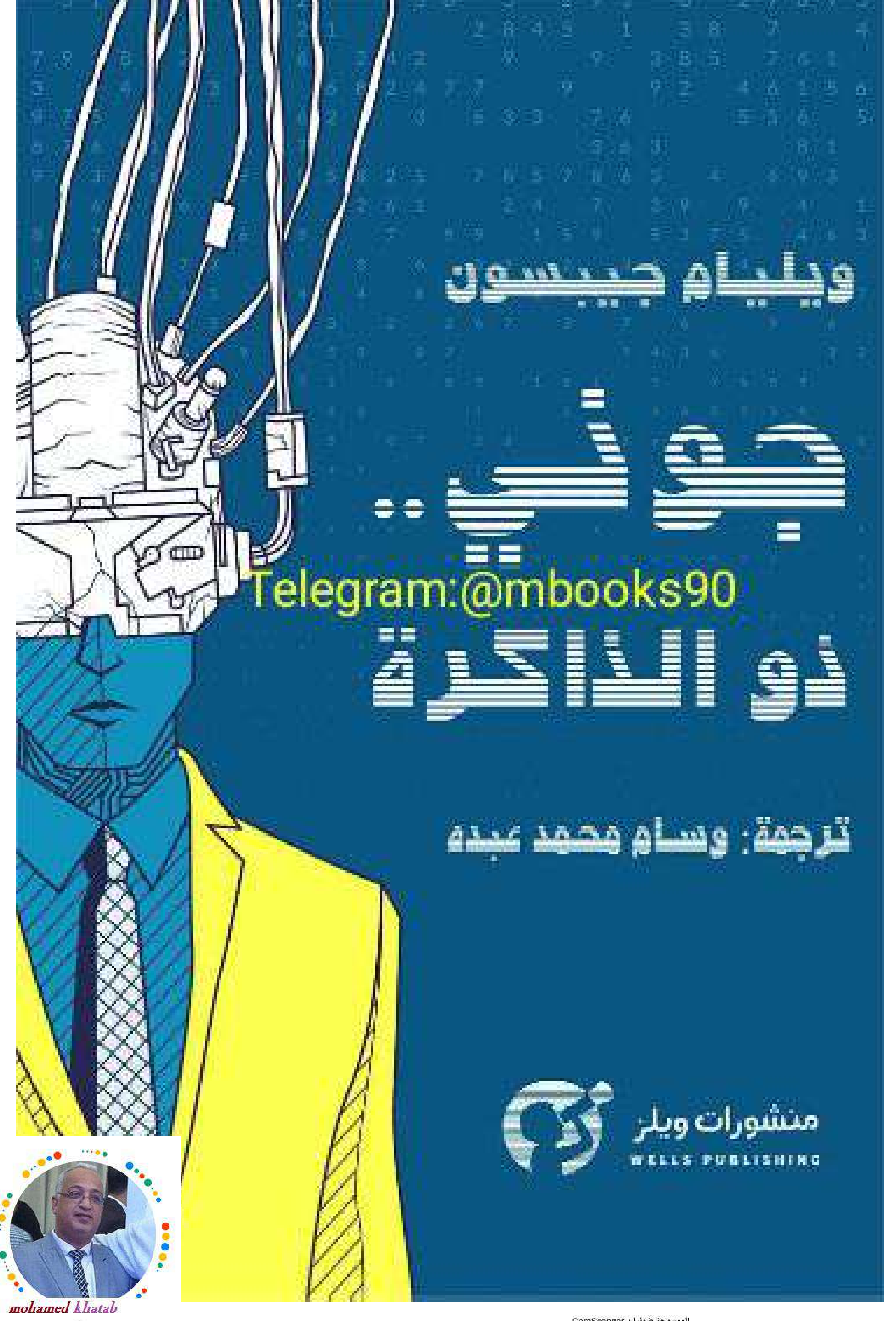


ويليام جيبسون
جوني
ذو الذاكرة
Telegram:@mbooks90
ترجمة: وسام محمد عبده
منشورات ويلز
WELLS PUBLISHING
mohamed khatab

جوني ذو الذاكرة(1)

وضعتُ بندقية الخرطوش في الحقيبة الرياضية، وأخفيتها تحت أربعة أزواج من جوارب التنس، ليست طريقتي المعتادة، ولكن هذا ما كنت أهدف له؛ إذا كانوا يحسبونك فوضويًا، كُن محترفًا، وإذا كانوا يحسبونك محترفًا، كُن فوضويًا. أنا شخص غاية في المهنية، ولذلك قررت أن أصبح غاية في الفوضوية قدر الإمكان. هذه الأيام، عليك أن تكون محترفًا جدًا قبل أن تطمح في أن تبالغ في الفوضوية.

كان عليّ أن أصنع، باستخدام مخرطة المعادن، طلقات مقاس اثني عشر من مخزون النحاس، ثم أقوم بتحميلها بنفسي، كان عليّ أن أفتش في شرائح العرض القديمة التي تحتوي على تعليمات التحميل اليدوي لخزينة الطلقات، وأن أصنع بنفسي الزناد؛ حتى يتثنى إطلاق الرصاص. كان الأمر صعبًا، ولكني أعلم أنه سوف يعمل.

كان اللقاء قد حُدد في «دروم» في الساعة 23:00، ولكنني ركبت المترو قبل ثلاث محطات عن أقرب رصيف، ثم عدت ماشيًا؛ في إجراء احترازي. راجعت حالي تحت مظلة جانبية لكشك قهوة؛ وجه حاد قوقازي يعلوه الشعر الداكن الخشن النافر. الفتيات في محل «آندر زا نايف» كُنَّ كبيرات ليستمعن للمغني «سوني ماو»، وكان من الصعب ألا يغازلوني بغمزة من أعينهن. من المُحتمَل ألَّا يخدع هذا الوجه «رالفي»، ولكنه يكفي لأن أجلس إلى جواره على المائدة. ملهى «دروم» عبارة عن مساحة واحدة ضيقة، في جانب منه يُوجَد البار، وعلى امتداد الجانب الآخر تتراص الطاولات، تغص بالقوَّادين وحشود مُروِّجي المخدرات.

الأخوان «ماجنتيك دوج» يقفان على الباب هذه الليلة؛ سوف يكون من الصعب تجاوُزهما إذا ساءت الأمور. كانا يبلغان المترين طولًا ونحيلين مثل كلبين رماديين؛ أحدهما أسود، والآخر أبيض، ولكن بغض النظر عن ذلك، كانا يكادان أن يكونا متطابقين؛ بفعل الجراحات التجميلية التي أجرياها. كانا حبيبين منذ أعوام، كما كانا خبزًا سيئًا إذا جرى قتال. لم أستطِع أبدًا أن أعرف مَن منهما الذَّكر حقيقةً.

كان «رالفي» يجلس على طاولته المعتادة. كان مدينًا لي بكثير من المال. كان لديَّ مئات من الميجابايت المخبأة في رأسي في خزانة غبية، حيث المعلومات لا يمكنني الولوج إليها بإرادتي. «رالفي» تركها هناك، وللأسف، لم يعُد لها. فقط هو مَن يستطيع أن يسترجع هذه البيانات، باستخدام عبارة مشفرة من ابتكاره. أجري ليس رخيصًا في البداية، ولكنه يُصبِح فلكيًا عندما تستخدم التخزين لوقت إضافي. و«رالفي» كان غاية في البخل.

ثم سمعت أن «رالفي» أراد أن يضع عقدًا لقتلي، ولهذا رتبت لمقابلته في «دروم»، ولكني رتبت أن ألقاه كـ«إدوارد باكس»؛ مُستورِدًا سريًا من «ريو» و«بكين».

كانت رائحة «دروم» عفنة، رائحة معدنية من التوتر العصبي. وكان هناك فتية مفتولو العضلات ينتشرون بين الحشد، يثنون عضلاتهم المكدسة يستعرضون أمام بعضهم البعض، عابسين ببرود، أصبح بعضهم تحت وطأة هذه البنية العضلية العملاقة لا يكاد يشبه البشر حقًا.

معذرة، معذرة، يا أصدقاء. هذا «إدي باكس» هنا، «إدي» السريع المُستورِد، مع حقيبته الرياضية عسيرة الوصف، ومن فضلكم تجاهلوا هذا الهراء، إنها واسعة بما يكفي لتسع يده اليمنى.

لم يكُن «رالفي» يجلس بمفرده؛ فعلى المقعد المجاور له كان يجلس في حذر، ثمانون كيلو من لحم «كاليفورنيا» الأشقر، مكتوبًا على جبهته قائمة بفنون القتال التي يجيدها.

جلس «إدي باكس» السريع إلى المقعد المقابل لهما، كانت يدا كومة اللحم تحت الطاولة. سألته بحماس:

- أتملك حزامًا أسود؟

أومأ برأسه بينما كانت عيناه الزرقاوان تتنقل ما بين عينيّ، ويداي تمسحهما آليًا. قلت:

- وأنا أيضًا.. انظر ماذا لديّ في الحقيبة.

ثم دفعت يدي في فتحة الحقيبة، وأزلت صمام الأمان بإصبعي، فأصدر صوت طقطقة، وقلت:

- ماسورتان عيار اثني عشر بزنادين مربوطين معًا.

قال «رالفي» وقد أسقِط في يده:

- هذه بندقية!

ووضع يده على صدر حارسه المشدود المصنوع من النايلون الأزرق، مانعًا له من الحركة.

- «جوني» لديه سلاح ناري عتيق في حقيبته.

أكثر من اللازم لـ«إيدي باكس».

طالما خمنت أن «رالفي» له قيمة ما، ولكنه مدين بلقبه المُكتَسب لخيلائه الفريد. كان قد أجرى العديد من جراحات التجميل؛ حتى يحصل على هذا الجسم الذي يشبه الكمثرى الطازجة، وينتحل وجه «كريستيان وايت» الشهير لعشرين عامًا. «كريستيان وايت» مغني فريق «أتيان ريجيا»، «سوني ماو» جيله، والفائز النهائي في سباق فرق «الروك».. كم أنا مغرم بالتوافه!

«كريستيان وايت»، وجه موسيقى «البوب» التقليدي لمغنٍّ صاحب جسد مفتول العضلات ووجنتين منحوتتين. ملائكي في ضوء، وسيم فاسد في ضوء آخر. ولكن عينا «رالفي» الحيَّتان خلف هذا الوجه، كانتا صغيرتين، باردتين، وسوداوين.

قال:

- من فضلك دع هذه جانبًا، ولنعمل كرجال أعمال.

صوته كان مُحمَّلًا بصدق آسر رهيب، وركنا فم «كريستيان وايت» الجميلان رطبان. أومأ نحو الفتى الضخم، وقال:

- «لويس» هذا كتلة من العضلات.

بدا «لويس» غير مكترث، وكأنه شيء قد صُنع من آلات.

- ولكنك لست كتلة عضلات يا «جوني».

- بالتأكيد يا «رالفي»، أنا مجرد جسم ظريف محشو بالمغروسات الإلكترونية التي يمكن أن تُستخدَم لتختزن *غسيلك الوسخ من البيانات*، بينما تذهب لتجلب مَن يقتلني. من نهايتي من هذه الحقيبة، يبدو أن عليك أن توضح بعض الأشياء يا «رالفي».

تنهّد بشدة، وقال:

- إنها الدفعة الأخيرة من المُنتج يا «جوني». دوري كوني وسيطًا...

قاطعته مُصحّحًا:

- وسيط؟ عادةً ما أكون شديد الحرص بالنسبة لمصادري.

- تشتري دائمًا من هؤلاء الذين يسرقون الأفضل.. فهمتك.

تنهّد ثانيةً، وقال بحذر:

- أحاول ألا أشتري من الحمقى. ولكن هذه المرة أخشى أنني قد فعلت.

كان تنهُّده الثالث بمثابة إشارة لـ«لويس» أن يُطلِق «جهاز التجميد العصبي»، الذي وضعوه ناحيتي تحت الطاولة. لقد وضعت كل تركيزي في إصبع سبابتي المشدود في يدي اليمنى، والذي لم أعُد أشعر أنه مرتبط بي. كنت أستطيع أن أشعر بمعدن البندقية، والشريط المُبطّن بالرغوة. أردت أن أشد يدي على المقبض القصير للبندقية، ولكن يداي كانتا كالشمع البارد؛ بعيدة ومشلولة. كنت أتمنى أن يكون «لويس» مجرد كتلة عضلات، غبي بما يكفي لأن يذهب لحقيبتي الرياضية، ويفلت إصبعي المتحجر فوق الزناد، ولكنه لم يفعل.

- لقد كنا قلقين عليك يا «جوني».. قلقون جدًا. كما ترى، هذه الأشياء المُختزَنة عندك، مملوكة لـ«الياكوزا»(2). أحمق سرقها منهم يا «جوني».. أحمق ميت.

راح «لويس» يضحك.

هكذا يُصبِح الأمر مفهومًا، مفهومًا بغباء، كأن هناك أجولة من الرمال الرطبة موضوعة حول رأسي. القتل ليس أسلوب «رالفي»، واستخدام كتلة عضلات مثل «لويس» ليس من أسلوبه أيضًا. ولكنه وجد نفسه محشورًا بين «أبناء الأقحوان المتألق»(3) وشيئًا ما يخصهم، أو بالأصح شيئًا يخصهم سرقوه من شخص آخر. بالطبع، كان يمكن لـ«رالفي» أن يستخدم العبارة المشفرة، حتى يدفعني إلى حالة الخزانة الغبية، وسوف يُمحَى برنامجهم المهم دون أن أتذكر ربع حرف منه. لمَن يعمل ستارًا مثل «رالفي»، عادةً ما يكون هذا كافيًا، ولكن ليس لـ«الياكوزا». «ياكوزا» يعرفون عن «السكويدز»(4) شيئًا واحدًا، وهم لا يريدون القلق بشأن تلك الآثار الباهتة الدائمة من برنامجهم في رأسي. لا أعرف كثيرًا عن «السكويدز»، ولكني سمعت قصصًا، ولقد قررت أن ألتزم بألَّا أكرر تلك القصص أبدًا مع عملائي. كلَّا، «ياكوزا» لن يحبوا الأمر، يبدو أن هناك كثيرًا من الأدلة. إنهم لم يبلغوا مكانتهم تلك بترك الأدلة حولهم، أو تركها حية.

كان «لويس» مبتسمًا. كان ينظر إلى نقطة ما خلف رأسي، أظنه كان يتخيل نقطة خلف جبهتي، وكيف يمكنه الوصول إلى هناك بالطريقة الصعبة.

- هاي.

صوت أنثوي خفيض يأتي من مكان ما خلف كتفي اليمنى.

- أنتم معشر رعاة البقر بالتأكيد لا تجدون وقتًا للحياة.

قال «لويس»:

- تنحي بعيدًا أيتها الساقطة.

كان وجهها الأسمر هادئًا جدًا، بينما كان وجه «رالفي» خاليًا من التعبيرات.

- امرح.. أتود أن تشتري بعض المخدرات الرخيصة الجيدة؟

سحبت مقعدًا وجلست بسرعة قبل أن يستطيع أيٌّ منهما أن يمنعها. كانت بالكاد في نطاق رؤيتي؛ فتاة نحيلة تضع نظارات عاكسة، شعرها الأسود قصير وخشن وأشعث. كانت ترتدي الجلد الأسود، وقميصًا مرسومًا بشرائط حمراء وسوداء مائلة. قالت:

- ثمانية آلاف للجرام.

أطلق «لويس» سبة، وحاول أن يلطمها ليُلقِيها بعيدًا عن المقعد. بطريقة ما لم يصل إليها؛ إذ ارتفعت يدها، وبدت كأنها تمسح على معصمه وهو يمر. تناثر الدم اللامع على الطاولة. أمسك بمعصم يده الأبيض بشدة، بينما راحت الدماء تسيل من بين أصابعه.

ولكن ألم تكُن يدها فارغة؟

أصبح يحتاج إلى ضمادة تشد على أربطته. وقفت بحذر، دون أن تُعنَى بأن تُرجِع مقعدها للوراء، سقط المقعد للخلف، وخرج «لويس» من نطاق نظري.

قالت:

- من الأفضل أن يراجع طبيبًا.. إنه جرح سيئ.

أخيرًا تكلم «رالفي» بصوت مُجهَد للغاية:

- أنتِ لا تدرين مدى عمق القذارة التي وضعتِ نفسكِ فيها.

- لا تمزح.. أهذا لغز؟! إن الألغاز تثيرني، مثل: لماذا يبدو أصدقاؤك هادئين

أو متجمدين؟ أو ماذا يفعل هذا الشيء هنا؟

ثم رفعت وحدة تحكُّم صغيرة كانت قد استولت عليها بطريقة ما من «لويس». بدا «رالفي» مكتئبًا.

- لعلكِ تريدين أن تحصلي على ربع مليون، وتعطيني هذا وتنصرفي.

امتدت يد ممتلئة لتصفع بعصبية وجهه الشاحب الهزيل.

قرقعت أصابعها فبرقت وحدة التحكم، وقالت:

- ما أريده هو العمل.. وظيفة. فتاكَ أذى معصمه، ولكن ربع المليون يمكن أن تكون مُقدَّمًا.

زفر «رالفي» وبدأ في الضحك، فظهرت أسنانه المُصمَّمة على نسق «كريستيان وايت». أغلقت «جهاز التجميد العصبي».

قلت:

- سوف أمنحكِ مليونين.

ضحكت، وقالت لي:

- تبدو طرازي المفضل من الرجال.. ما الذي في هذه الحقيبة؟

- بندقية خرطوش.

- فوضوي.. يمكن أن تعُدَّها مجاملة.

لم يقُل «رالفي» أيَّ شيء.

- اسمي «ميليونز».. «موللي ميليونز». لعلك تود أن تغادر المكان يا رئيس؛

فالناس بدءوا ينظرون.

وقفت، كانت ترتدي جينزًا جلديًا بلون الدم الجاف. لاحظتُ للمرة الأولى أن نظارتها العاكسة مزروعة جراحيًا، وإطارها الفضي يخرج ببساطة من عظام وجنتَيها، خافيًا عينَيها في محجرَيهما.. شاهدت وجهي منعكسًا هناك.

قلت:

- اسمي «جوني».. سوف نصحب السيد وسيم الوجه معنا.

كان يقف بالخارج منتظرًا. كان يبدو مثل التقنية السياحية القياسية الخاصة بك، مرتديًا الخُف البلاستيكي، وقميص «هاواي» سخيفًا مطبوعًا عليه إعلانات لمعالج الحواسيب الشعبي الذي تنتجه مؤسسته. رجل ضئيل رَبعة، من النوع الذي عادةً ما ينتهي به الحال ثملًا ومترنحًا قاصدًا حانةً من الحانات التي تُقدِّم الأرز المُصغَّر ومُقبِّلات أعشاب البحر. من النوع الذي ينشد نشيد المؤسسة ثم يبكي، النوع الذي يشد على يد ساقي الحانة بحرارة، ويتركه القوادون وموزعو المخدرات وحيدًا، يظنونه محافظًا بالفطرة. لا يُنفِق كثيرًا، وحذرًا عندما يفعل.

ما عرفته لاحقًا، أنهم قد بتروا طرف إبهامه الأيسر، وفي موضع ما بعد أول مفصل قاموا بزرع طرف آخر صناعي، أزالوا نخاع إصبعه، واستبدلوه بملف خيط مصنوع من أحد نظائر الماس الذي تنتجه شركة «أونو سينداي»، ثم زودوا الملف بسلك أحادي الجزيء طوله ثلاثة أمتار.

دخلت «موللي» في حوار مع الأخين «ماجنتيك دوج»، معطية لي فرصة لإخراج «رالفي» عبر الباب، ضاغطًا على أسفل عموده الفقري بالحقيبة الرياضية. سمعت الأسود من الأخوين يضحك. لمحت في الأعلى، خارجة من

بعض الانعكاسات المارة، ربما لأني لم أعتد ذلك؛ الأقواس المضيئة المرتفعة والظلال المحنية فوقها. ربما هذا ما جعلني آمنًا. استمر «رالفي» في المشي، لكنني لم أظن أنه يحاول الهرب. أعتقد أنه قد استسلم، ومن المُحتمَل أن لديه فكرة عما أعِد له.

نظرت في الأسفل في اللحظة التي مُزِّق «رالفي» فيها. التشغيل الاسترجاعي لكاميرات المراقبة يُظهِر «رالفي» يخطو للأمام، بينما يخرج التقني من العدم مبتسمًا. مد يده مثل القوس، وسقط إبهامه الأيسر.. إنها خدعة ساحرة. الإصبع أصبح مُعلَّقًا.. مرايا؟ أسلاك؟ وقف «رالفي» موليًا ظهره لنا، وأهلة داكنة من العرق تحت إبطَيه تظهر على معطفه الصيفي الباهت اللون. كان يعرف، من المؤكد أنه عرف. ثم انطلق طرف الإصبع، ثقيلًا مثل الرصاص، مقوسًا كحركة يويو مخادعة، يربطه حبل خفي إلى يد القاتل؛ ليعبر، حرفيًا، من خلال جمجمة «رالفي»، من فوق حاجبه، ثم ينزل وبمنتهى الحماس، ليشق جذع «رالفي» كمثري الشكل بالورب من الكتف حتى القفص الصدري.

كان الجرح دقيقًا جدًا، حتى إنه لم ينزف، حتى اختلت نهايات «رالفي» العصبية، ومع أول ارتعاشة سقط جسده على الأرض. سقط «رالفي» مُمزَّقًا في سحابة من سوائل الجسد الوردية، وتبعثرت أجزاؤه الثلاثة غير المتماثلة فوق بلاطات الرصيف. وفي صمت تام، حملتُ الحقيبة الرياضية، وكانت يداي تتشنجان، كان الارتداد قد حطَّم معصمي.

لا بد أنها كانت تمطر، خيوط من الماء كانت تتوالى من الأقواس المُمزَّقة، وتتناثر فوق البلاط خلفنا. اختبأنا في المساحة الضيقة بين متجر أدوات الجراحة ومتجر العاديات. نظرت بإحدى عدستَيها العاكستين حول الزاوية

لمراقبة سيارة دورية شرطة من طراز «فولكس» تومض بأضواء حمراء، تقف في الساحة أمام «دروم»؛ كانوا يقومون برفع جثمان «رالفي»، ويطرحون الأسئلة.

كنت مغطًّى بزغب أبيض مشعث. جوارب التنس. كانت الحقيبة الرياضية مربوطة بقيد من بلاستيك خشن حول معصمي.

- لا أعرف كيف، بحق السماء، قد ناله منه؟

قالت:

- لأنه فعلها غايةً في السرعة.

راحت تضم ركبتَيها وتمدهما متأرجحةً على كعب حذائها العالي، ثم أردفت:

- نظامه العصبي في حالة انتشاء.. ضبط المصنع.

راحت تضحك قبل أن تُطلِق قهقهة صغيرة من الابتهاج وقالت:

- سوف أنال من هذا الفتى، والليلة.. إنه الأحسن والأعلى أجرًا، رقم واحد، الفنان.

- ما سوف تحصلين عليه، مليونان؛ مقابل إخراجي من هنا. صديقكِ هذا هناك، غالبًا ما تربَّى في حَواري «تشيبا سيتي»(5). إنه قاتل محترف يتبع «ياكوزا».

- «تشيبا».. نعم، و«موللي» أيضًا ترعرعت في «تشيبا».

ثم أرتني يدَيها، مباعدة قليلًا بين أصابعها. كانت أصابعها نحيلة، ومُدبَّبة،

وبيضاء جدًا مُقارَنةً بطلاء أظفارها عنابي اللون. ثم ظهرت عشر شفرات فجأة من مكامنها تحت أظفارها، كل شفرة منها رفيعة ومزدوجة النصل ومصنوعة من الصلب الأزرق الباهت.

***

لم أقضِ أبدًا وقتًا طويلًا في «نايت تاون». لا يُوجَد هناك أحد يدفع لي كي أتذكر له شيئًا، وكثيرٌ منهم يدفعون بانتظام لينسوا. أجيال من أمهر الرماة استهدفوا مصابيح النيون هناك حتى استسلم رجال الصيانة وكفوا عن إصلاحها. حتى في الظهيرة، بدت أقواس المصابيح المحطمة مغطاة بالسخام الأسود، يغطي لؤلؤ المصابيح الباهت. أين يمكن أن تذهب عندما تسعى خلفك أغنى منظمة إجرامية بأصابعها الهادئة والطويلة؟ أين يمكن أن تختفي من «ياكوزا» التي تمتلك أقمارًا صناعية خاصة بها، وعلى الأقل ثلاث مركبات فضائية مكوكية؟ «الياكوزا» متعددة الجنسيات حقًا، مثلها في ذلك مثل «آي تي تي»، و«أونو سينداي». «الياكوزا» التي ابتلعت قبل ميلادي بنحو خمسين عامًا مُنظَّمات «تريادز»(6)، و«مافيا»، و«يونيون كورس»(7).

كانت «موللي» لديها الإجابة:

- أختبئ في الحفرة، في الدائرة السفلى؛ حيث أيُّ مؤثر خارجي يتسبب في موجات إنذار ناعمة متحدة المركز. أختبئ في «نايت تاون». والأفضل أن تختبئ في الطابق الأعلى منها؛ ففي الحفرة كل شيء منعكس، قاعها يمس السماء، تلك السماء التي لم ترَها «نايت تاون» أبدًا، حيث تتعرق تحت شبكتها الخاصة من أسلاك «الأكريليك» الصمغي، فوق، حيث جماعة «لو تكس» تجثم في الظلام مثل كائنات «الجارجويل»(8) تتدلى من بين شفاها سجائر

السوق السوداء.

كانت لديها إجابة أخرى أيضًا:

- إذن قد تم تأمين ذاكرتك جيدًا «جوني سان»؟ ليست ثمة طريقة لإخراج هذا البرنامج من رأسك دون كلمة المرور.

كانت تقودني إلى الظل الواقع وراء رصيف المترو المضيء، الجدران الخراسانية مغطاة بالرسوم الجرافيتية، سنوات من تلك الرسوم اندمجت في لوحة واحدة من الغضب والإحباط.

قلت:

- البيانات المُختزَنة في رأسي يتم إدخالها عبر سلسلة من الأجزاء الصناعية المجهرية المُعدَّلة جراحيًا.

كانت هذه العبارة نسخة مبتورة من إعلاني الاعتيادي عن خدماتي، استطردت قائلًا:

- الشفرة الخاصة بالعميل يتم اختزانها في شريحة خاصة تُسمَّى «السكويدز المانع»، والتي لا نحب أن نتحدث عنها في التجارة. ليس ثمة سبيل لاسترجاع بياناتك، لا يمكنك أن تتخلص منها، أو تقصها، أو تشوهها. ولا يمكن أن أعرفها، وأبدًا ما فعلت.

كنا قد دخلنا شارعًا تجاريًا مهجورًا، حيث راحت تتطلع إلينا الظلال عبر الميدان الخالي المُغطَّى برءوس الأسماك والفاكهة الفاسدة، حين قالت:

- «السكويدز»؟ هذه الأشياء الزاحفة ذات الأذرع؟

قلت:

- «سكويدز» اختصار لعبارة: «كاشفات التداخل الكمي فائقة التوصيل»، استخدِمت في الحرب للبحث عن غواصات العدو، واختراق الأنظمة السيبرانية(9) له.

- حسنًا.. أغراض الأسطول؟! من الحرب؟! «السكويدز» بمقدورها أن تقرأ شريحتك؟!

توقفت عن المشي وشعرت أن عينيها وراء هاتين العدستين العاكستين تُحدِّق فيَّ.

- حتى الأنواع البدائية منها تستطيع قياس حقل مغناطيسي قدره واحد على بليون من الحقل المغناطيسي الأرضي، الأمر مثل أن تسمع همسة في ملعب يضج بالهتاف.

- يستطيع رجال الشرطة أن يفعلوا ذلك باستخدام مكبرات الصوت ذات الصحن والليزر.

أجبتها بحِرفية وفخر:

- ولكن في هذه الحالة سوف تظل البيانات آمنة؟ لا تُوجَد حكومة تسمح لرجال شرطتها باستخدام أجهزة «سكويدز»، ولا حتى للأجهزة الأمنية ذات الوزن الثقيل. هناك فرصة كبيرة جدًّا أن يتسبب في كثير من المرح بين الأقسام المختلفة، على الأرجح سوف نحصل على «ووتر جيت» جديدة يتسببون فيها لأنفسهم.

قالت:

- أغراض الأسطول!

وتألقت ابتسامتها في الظل، ثم تابعت:

- أغراض الأسطول! لي صديق هنا كان في الأسطول، اسمه «جونز»، أظن أنه من الأفضل لو قابلته، إنه مدمن بالمناسبة؛ لذلك يجب أن نصحب معنا شيئًا له.

- مدمن؟!

- إنه «دلفين».

إنه أكثر من «دلفين»، ولكن من وجهة نظر أخرى، هو أقل من «دلفين». شاهدته يدور ببطء في خزّانه الحديدي، والمياه تضرب جوانب الخزان، وتبلل حذائي. كان من مخلفات الحرب الأخيرة.. «سايبورج»(10). شب خارجًا من الماء، ليرينا تلك الصفائح التي على جانبَيه، بطريق التورية. كان جماله قد ضاع تحت هذه الدروع التي تغطيه، فبدا مظهره خشنًا ينتمي إلى عصور ما قبل التاريخ. كان هناك تشوهان على جانبَي رأسه، صُمِّما بحيث يحتويان وحدات المجسات. لمعت جروح فضية في القسم المكشوف من جسمه. أطلقت «موللي» صفيرًا. هز «جونز الدلفين» ذيله فراحت مزيد من الموجات تضرب جانبَي الخزان المائي.

رحت أحدِّق في الأشياء الغامضة التي يخفيها الظلام، يربط ما بينها سلاسل صدئة، ويختفي بعضها تحت أغطية مختلفة، وقلت:

- ما هذا المكان؟

فوق الخزان تدلى إطار خشبي خشن، تتراص عبره صفوف من أضواء عيد

الميلاد المتربة.. أهو ملهًى، أم حديقة حيوانات، أم عربة كرنفال؟

- تحدَّث إلى حوت الحرب، بعض الحوت «جونز» هو...

صعد جونز بجسده ثانيةً، ونظر إليّ بعينين عجوزين حزينتين.

- كيف له أن يتحدث؟

وفجأة شعرت بأني أصبحت توّاقًا لأن أذهب.

- هذا هو الفخ.. قل مرحبًا يا «جونز».

وفجأة لمعت كل أضواء مصابيح عيد الميلاد معًا. كانت تضيء بالألوان: الأحمر، والأبيض، والأزرق.

ر و ب ر و ب ر و ب

ر و ب ر و ب ر و ب

ر و ب ر و ب ر و ب

ر و ب ر و ب ر و ب

ر و ب ر و ب ر و ب

قالت:

- حسنًا بالرموز، انظر، ولكن الرموز التي يمتلكها محدودة. في الأسطول كانوا يصلونه بجهاز عرض بصري سمعي.

ثم أخرجت لفافة صغيرة من جيب سترتها، وقالت:

- مخدر نقي يا «جونز».. هل ترغب فيه؟

تجمّد في الماء، قبل أن يبدأ في الغوص. شعرت بفزع شديد عندما تذكرت أنه ليس سمكة ويمكن أن يغرق. قالت «موللي»:

- «جونز»، نريد المفتاح الخاص بالخزانة في رأس «جوني». نريده، وبسرعة.

ارتعشت أضواء المصابيح محتضرة.

- اذهب من أجلها يا «جونز».

ب

ب ب ب ب ب ب ب ب ب

ب

ب

ب

رسمت المصابيح الزرقاء علامة الصليب، ثم عَم الظلام.

قالت «موللي»:

- إنه مخدر نقي يا «جونز».. هيَّا افعلها.

و و و و و و و و و

و و و و و و و و و

و و و و و و و و و

ووووووووو

ووووووووو

غسل توهُّج مصابيح الصوديوم الأبيض ملامحها، ليرمي بظلال وحيدة اللون على وجنتيها.

ررررررر

رر

ررررررررر

رر

ررررررر

انعكست علامة النازية الحمراء على نظارتها الفضية. قلت لها:

- أعطيه له. لقد حصلنا عليها، إنها «سواستيكا»؛ رمز النازية.

لمع في خيالي وجه *«رالفي»*.. *مجرد خيال*.

رفع «جونز» نصف جسمه المدرع على حافة الخزان المائي، فشعرت أن الدروع المعدنية سوف تسقط. قامت «موللي» بغرس المِحقَن فيه، دافعة بإبرة المِحقَن بين الصفيحتين حول رأسه. المِحقَن أصدر صوت هسيس. تألقت الأضواء كأنها تنفجر، تتراقص حول الإطار، ثم راحت تبهت إلى أن أمست سوداء.

تركناه يطفو ويدور واهنًا في المياه المظلمة. ربما راح يحلم بحربه في المحيط الهادئ، في الألغام السيبرانية التي كسحها، يطفئ دوائرها ببساطة

مُستخدِمًا «السكويدز» التي استخدمها لكشف كلمة السر المقيتة التي استخدمها «رالفي» من داخل الشريحة المزروعة في رأسه.

- أستطيع أن أرى لِم قاموا بتسريحه، وتركوه يغادر الأسطول مع عتاده السليم. ولكن كيف لـ«دلفين» سيبراني أن يبلغ النشوة؟

قالت:

- في الحرب. جميعهم كانوا هكذا.. كيف يمكنك أن تجعلهم يعملون من أجلك؟

***

قال «القرصان»:

- لا أعرف إن كان هذا العرض يُمثّل عملًا جيدًا.

مماطلًا للحصول على مال أكثر، ثم استطرد:

- المواصفات المُستهدَفة على قمر الاتصالات الصناعي ليست مكتوبة في كتاب.

قالت «موللي»:

- ضيّع وقتي ولن تنال العرض.

وانحنت فوق طاولته البلاستيكية، محذرةً إيّاه بسبابتها:

- لعلكِ ترغبين في شراء أجهزة «الميكروويف» الخاصة بكِ من مكان آخر كذلك؟

على الرغم من مظهره الصبياني، فقد كان فتًى صلبًا. لعله وُلِد في «نايت تاون».

هوت يدها بسرعة لتمزق مخالبها طية سترته دون أن تُفسِد نسيج السترة.

- هل اتفقنا أو لا؟

قال:

- اتفقنا.

مُحدِّقًا إلى طية سترته التي تمزقت حيث كان يرجو أن يربح بطريقة مهذبة فحسب.

- اتفقنا.

بينما كنت أتفحص جهازَي التسجيل اللذين اشتريناهما، كانت تفض لفافة من الورق أعطيتها إياها من جيب على معصم سترتها. فضت الورقة وراحت تقرأ محتوياتها وهي تحرك شفتَيها صامتةً. قالت باستهجان:

- هذا هو.

قلت لها:

- أبدأ؟

بينما ضغطنا معًا مفتاحَي التسجيل في جهازَي تشغيل أسطوانتَي التسجيل. قالت بهدوء:

- «كريستيان وايت» وفرقته «فرقة الريجي الآرية».

يا لك من مخلص يا «رالفي»، نصير لـ«كريستيان وايت» إلى يوم مماتك!

كان الانتقال إلى وضع «الخزانة الغبية» أقل حدة مما توقعت. كانت واجهة قاعة البث الخاص بـ«القرصان»، عبارة عن مكتب وكالة سفر فاشلة يضم طاولة بلاستيك، وثلاثة مقاعد، وملصقًا سياحيًا لمنتجع صحي مداري في سويسرا. لعبتان على شكل طائرَين من الزجاج المنتفخ والأرجل المعدنية يرتشفان من كأس ماء من «الستايروفوم»(11) على الحافة إلى جوار كتف «موللي». بينما كنت أدخل وضع «الخزانة الغبية»، راحت حركة الطائرَين تتسارع حتى أصبح الريش بارق الألوان الذي يُتوّجها، أشبه بأقواس صلبة من الألوان.

المصابيح التي تخبر بالثواني في الساعة المُعلّقة على الجدران البلاستيكية أصبحت شبكات تنبض بالضوء بلا معنى، وراح وجه «موللي» والفتى صاحب وجه «ماو» ضبابيين، بينما استطالت أذرعهما حتى أصبحا كشبحَي حشرتين تومئان لي. ثم تلاشى كل شيء ليُصبِح ساكنًا ورماديًا وهادئًا، قصيدة شِعر بجرس لا نهائي من لغة صناعية.

جلست أفرِغ برنامج «رالفي» المسروق مدة ثلاث ساعات.

***

كان المجمع بطول أربعين كيلومترًا حتى النهاية، سلسلة من «قباب فوللر»(12) المتداخلة الخشنة تغطي ما كان ضاحيةً يومًا ما. عندما يُطفِئون الأضواء في الجو الصحو، بالكاد ينفذ ضوء الشمس الرمادي من خلال طبقات «الأكريليك»، ليُصبِح منظرها مثل «لوحات السجون» التي رسمها «جيوفاني بيرانيزي»؛ الثلاثة كيلو مترات الأقصى جنوبًا من سطح «نايت تاون». لا

تدفع «نايت تاون» أيّ ضرائب، ولا تحصل على أيّ خدمات؛ أقواس النيون ميتة، والقباب مغطاة بالسناج الأسود؛ نتيجة عقود من نار الطهو. في الظلام شبه الدامس لظهر «نايت تاون»، مَن يمكنه أن يلحظ ثلاثة مجانين تائهين بين العوارض الخشبية؟

ظللنا نتسلق نحو ساعتين، فوق درج أسمنتي وسلالم حديدية تحتوي الكثير من الفجوات، بين المُخلّفات المهجورة منذ زمن، والأدوات التي تغطيها الأتربة. بدأنا فيما يبدو أنه كان ساحة صيانة مهجورة، تتكدس فيها قطع مثلثية الشكل من بلاطات التسقيف. كل شيء هناك كان مغطًى بطبقة موحدة من مادة «الرذاذ» المُستخدَمة في رسم الجرافيتي، تعرض أسماء العصابات وتواريخ ترجع لنحو قرن. قادتنا رسوم الجرافيتي نحو الأعلى، وراحت تتلاشى حتى أصبح هناك اسم واحد يتكرر على فترات: «لو تك». بحروف كبيرة سوداء نازفة.

- مَن «لو تك»؟

قالت:

- لسنا نحن يا زعيم.

كانت تتسلق سلمًا من الألومنيوم قبل أن تختفي في فتحة في غطاء من البلاستيك المموج، قالت مستطردة:

- اسمهم يعني: «التقنيات المتدنية».

كان الغطاء البلاستيك يكتم صوتها. تابعتها، بينما معصمي المُضمَّد يؤلمني. قالت:

- «جماعة لو تكس». إنهم يظنون أن بندقية الخرطوش خاصتك خدعة عقيمة.

بعد نحو ساعة، سحبت نفسي لأعلى عبر فتحة أخرى، كان هناك مَن يبدو مشوهًا خلف الغطاء المصنوع من الخشب المضغوط، حيث قابلت أول «لو تك».

ربَّتت «موللي» على كتفي، وهي تقول:

- حسنًا، إنه مجرد «دوج».. مجرد «دوج».

في ضوء الشعاع الضيق المنبعث من الكشَّاف المُثبَّت برباط فيها، راح يتفحصنا بعينه الوحيدة، وببطء أخرج لسانه الرمادي الطويل، يلعق أنيابه العملاقة. كنت أتساءل: «كيف قاموا بزرع أسنان «دوبرمان» صناعية له - مثل هذه - باستخدام تقنيات متدنية؟! فمثبطات المناعة لا تنمو ببساطة فوق الأشجار».

- «موللي».

كانت الأسنان المغروسة تعيق كلامه، وتدلى خيط من اللعاب من شفته السفلية الملتوية.

- سمعت أنكِ آتية منذ وقت طويل.

كان يبدو أنه في الخامسة عشرة، ولكن الأنياب وفسيفساء الندبات البراقة على وجهه ومحجر عينه الخاوي تُمثِّل قناعًا من الحيوانية الكاملة. لتكوين وجه مثل هذا؛ لا بد من توفُّر كثير من الوقت ونوع ما من الإبداع، وصاحبه يقول لي إنه يحب أن يعيش خلف هذا الوجه. كان يرتدي جينزًا قديمًا أسود

تغطيه بقع الأوساخ والتجعدات اللامعة. صدره وقدماه عارية. كان يقوم بما يشبه الابتسامة بوجهه.

- هل تبعكِ أحد؟

وفي «نايت تاون» ارتفع صوت تاجر ماء ينادي على بضاعته.

- دُق على الأسلاك يا «دوج».

راحت تؤرجح بضوء كشّافها على الجانبين. رأيت سلكًا متصلًا بمسمار حلقي، سلكًا يستمر حتى الحافة ثم يختفي.

- أطفِئ هذا الضوء التعيس.

أطفأت الكشاف.

- كيف يتأتى لهذا الذي يتبعك ألا يحتاج للضوء؟

- لا يحتاج إليه. هذا الشخص هو خبر سيئ لك يا «دوج». حراسك أعطوه دفعة، وسيعودون في قسم الأثقال البسيطة.

- أهو صديق إذن يا «موللي»؟

كان صوته خشنًا، وسمعت صوت قدمه تتحرك فوق الأرضية المصنوعة من الخشب المضغوط.

- ليس صديقك، ولكنه صديقي.

وأشارت إلى بندقية الخرطوش على كتفها، وأردفت:

- وهذا المتدلي على كتفي صديقي أيضًا.. هل فهمت؟

دون حماس قال:

- بالتأكيد.

ومشى نحو حافة المنصة، حيث قد ثبتت الأسلاك، وبدأ في الدق على الأسلاك المشدودة؛ كأنه يمرر رسالة ما.

كانت «نايت تاون» تمتد أسفل منّا، كأنها قرية مبنية من لُعَب للفئران، بنوافذ ضئيلة تُظهِر ضوء الشموع، وفي شيء من الخشونة، تُضاء الميادين بفوانيس تعمل بالبطارية ومصابيح «الكربيد»(13). رحت أتخيل المسنين المنغمسين في لعبة «الدومينو» التي لا تنتهي، وقطرات الماء الضخمة والدافئة تتساقط عليهم، بعد أن غسلت تلك القضبان الواقعة بين أكواخ الخشب المضغوط. ثم رحت أتخيل كيف تسلق بصبر في الظلام، بصندله الياباني وقميصه السياحي القبيح، بهدوء وبغير عجلة؟! كيف أمكن له أن يتتبعنا؟!

قالت «موللي»:

- حسنًا، هو ذاك يصعد.

أخرج «دوج» علبة مجعَّدة من جيبه، وأخرج منها لفافة تبغ مُسطَّحة، وقال:

- أتدخن؟

ألقيت نظرة على نوع لفافات التبغ بينما كان يُشعِل لي لفافة التبغ مُستخدِمًا ثقابًا منزليًا. «مرشحات يهيوان».. «مصنع تبغ بكين». استنتجت أن جماعة «لو تكس» تعمل في السوق السوداء. ذهبت «موللي» و«دوج» إلى الخلف يتناقشان فيما يبدو أنه رغبة «موللي» في استخدام أحد الأبنية

المملوكة لجماعة «لو تك».

- لقد قدّمت لك الكثير من الخدمات أيها الرجل، أريد هذا «الطابق»، وأريد كذلك الموسيقى...

- أنتِ لستِ من جماعة «لو تك».

استغرق هذا النقاش معظم الطريق الملتوي الذي بلغ كيلومترًا طولًا. كان «دوج» يقودنا عبر منصات متأرجحة وسلالم مربوطة بأحبال، تُمثِّل شبكة تستخدمها «لو تكس»، تربط الأماكن بنسيج المدينة بكرة من «الإيبوكسي»(14)، وتجعلهم ينامون فوق القاع على فراش شبكي متأرجح. بلدهم بسيط للغاية، ويُوجد فيه أماكن أصغر من قبضة يد وقدم، وتنتشر فيه دعائم القبة.

«طابق القتل»؛ هكذا دعته. رحت أهرول خلفها، والحذاء الجديد الذي اخترته ليناسب شخصية «إدي باكس» ينزلق فوق المعدن الدافئ والخشب المضغوط الرطب. تساءلت: «كيف يمكن أن يكون الأمر مميثًا هنا أكثر منه في باقي الأرجاء؟». شعرت أن معارضة «دوج» مجرد معارضة شكلية، وأن «موللي» تعرف أنها في سبيلها لأن تنال أيًا كان ما تريده .

في مكان ما أسفل منا، يدور «جونز» في خزان الماء الخاص به، يستشعر أول وخز تعب الإدمان. لا بد وأن رجال الشرطة يُضجِرون رواد «دروم» بالأسئلة حول «رالفي»: ما الذي كان يفعله؟ مَن كان معه قبل أن يغادر المكان؟ بينما ترزح «ياكوزا» بكتلتها الخفية فوق قواعد البيانات في المدينة، تبحث عن صورة واضحة تنعكس على أرقام الحسابات، والمعاملات المالية، وفواتير الخدمات. نحن مجتمع معلوماتي؛ يُعلِّمونك ذلك في المدارس. ما لم

يقولوه لك: إنه من المستحيل أن تتحرك، أن تعيش، أن تعمل، على أيِّ مستوى من المستويات، دون أن تترك أثرًا، شذرات مع المعلومات الشخصية التي تبدو بلا معنى.. شذرات يمكن استرجاعها، وتكبيرها...

ولكن في تلك اللحظة، «القرصان» قد أرسل رسالتنا عبر الخط، ومن خلال بث مجهول إلى قمر اتصالات «الياكوزا» الصناعي.. رسالة بسيطة مفادها:

كُفوا كلابكم أو سوف نذيع برنامجكم.

«البرنامج»، أنا لم أدرِ شيئًا عن محتواه، وما زلت لا أدري. أنا فقط أغني الأغنية دون أن أفهمها. من المُحتمَل أن يكون «البرنامج» بيانات بحثية، تمنح «ياكوزا» أفضلية في التجسس الصناعي. مشروع متميز سُرِق من شركة «أونو سينداي» كجزء من مُخطَّط مُهذَّب لطلب فدية مقابل بياناتهم؛ مما يضيع قيمة البحث المُميَّز للمجمع بنشره على العامة.

ولكن لماذا لا يمكن أن يلعب أي رقم؟ ألن يكونوا أكثر سعادة إذا باعوا شيئًا ما إلى «أونو سينداي» ثانيةً؟ أكثر سعادة من قتل «جوني» ذوي الذاكرة؟

كان برنامجهم في طريقه إلى عنوان في مدينة «سيدني»، إلى مكان يستقبل الرسائل نيابةً عن عملائه، ولا يسأل أيَّ أسئلة ما داموا يدفعون أتعابه. بريد سطحي من الرتبة الرابعة. كنت قد محوت النسخ الأخرى، واستخدمت مكانها الفارغ لتسجيل رسالتنا، تاركًا ما يكفي من البرنامج لتحديده كشيء حقيقي.

ساعدي يؤلمني. أريد أن أتوقف، أن أستلقي، أن أنام، كنت أعرف أنني سوف أفقد تماسكي وأهوي قريبًا، وأعرف أن الحذاء الداكن السواد الذي اشتريته لليلتي كـ«إدي باكس» سوف يفقد قيمته ويحملني إلى الأسفل إلى

«نايت تاون». فجأة ظهرت صورة القاتل في ذهني؛ كأنها برنامج هولوجرامي ديني رخيص، متوهج، الرقاقة المكبرة في قميص «هاواي» الذي يرتديه بدت غامضة كطلقة استكشاف خرجت من نواة حضرية فاشلة!

رحت أتبع «موللي» و«دوج» في جنة «لو تك»، حل مؤقت ورديء من مُخلَّفات لا تعرفها حتى «نايت تاون». كان «طابق القتل» ثمانية أمتار من جانبيه. منصة عملاقة تتدلى باستخدام كابل من الصلب ذهابًا وإيابًا عبر ساحة خردة، بينما الكابل مشدود، يطن ويُصدِر صريرًا كلما تحرك، وكان يتحرك باستمرار، ويتأرجح ويهتز، تجتمع جماعة «لو تك» على رف من الخشب المضغوط إلى جوارها.

كان الخشب قد أصبح فضيًا ولامعًا من القِدم، محفورًا فيه بعمق الحروف الأولى من الأسماء، والتهديدات، والإعلان عن العواطف. كانت هذه مُعلَّقة من مجموعة منفصلة من الكوابل التي تثبتها في الظلام وراء الوهج الأبيض النقي المنبعث من الثريتين فوق «الطابق». وثبت على أطرافها الأربعة فوق أرض «الطابق» فتاة لها أسنان مثل أسنان «دوج». صدرها موشوم برسوم لوالب نيلية اللون. عبرت «الطابق» ضاحكة، ثم راحت تتصارع مع فتى يشرب سائلًا أسود من قارورة بحجم لتر. أزياء جماعة «لو تك» تتراوح بين الندوب والوشوم والأسنان. الكهرباء التي استخدموها لإضاءة «طابق القتل» كانت تبدو استثنائية بالنسبة لمُجمَل قيمهم، ربما استخدموها بدعوى إقامة شعائر أو ممارسة الرياضة أو الفن؟ لا أعرف، ولكني أرى أن «الطابق» مكان مميز.. أصبحت أعتقد أنه تم بناؤه عبر أجيال.

وضعت بندقية الخرطوش عديمة الجدوى تحت سترتي. صلابتها ووزنها أكسباني راحة، حتى ولو لم أكُن أملك مزيدًا من الطلقات. ثم تراءى لي

أنني لا أملك أيّ فكرة عما يمكن أن يحدث حقًّا، أو عما يُفترَض أن يحدث. وهذه هي طبيعة لعبتي؛ لأنني قد أمضيت معظم حياتي كوعاء أعبأ بمعارف الآخرين، ثم تُستنزَف هذه المعارف في صورة لغات صناعية لا أعرف عنها أيّ شيء.. فتى مهني للغاية بالتأكيد.

فجأة لاحظت كيف أصبح أفراد «لو تكس» هادئين تمامًا.

كان هناك - عند حافة الضوء - القاتل صاحب زي السائح. وقف هادئًا في «طابق القتل»؛ حلبة قتال «لو تكس» الصامتة. التقت عيناي بعينَيه للمرة الأولى؛ فميَّز كلٌّ منّا الآخر. برقت ذكرى في ذهني عن: باريس، والسيارة المرسيدس الكهربية الطويلة تنزلق تحت المطر في «نوتردام»، ودفيئات خضراء متنقلة، ووجوه يابانية خلف الزجاج، ومئات الكاميرات التي تبرق فتعمي العيون، وزهور من الحديد الصلب والبلور. خلف عينَيه، أكاد أنظر إلى عقله، ذلك الذي وجدني، خلال نوافذ عينَيه المشرعة.

نظرت إلى الملايين التي وعدت بها «موللي»، ولكنها كانت قد ذهبت للمنصة المُعلَّقة. تباعد أفراد «لو تكس»؛ ليسمحوا له أن يتقدم إلى البساط. انحنى مبتسمًا ثم خلع نعلَيه بسلاسة، ووضع النعلين متجاورين بدقة، ثم تقدَّم إلى البساط في منتصف «طابق القتل». تقدَّم نحوي، فوق المنصة المتأرجحة المهترئة، ببساطة تحاكي بساطة أيّ سائح يسير عبر ممر صناعي في فندق رتيب.

ضربت «موللي» الأرضية وراحت تتحرك.

ضج «الطابق».

كانت الأصوات مُكبَّرة ومُضخَّمة، مع أجهزة لاقطة مُثبَّتة في الملفات

الزنبركية الأربعة التي تربط المنصة من أركانها، ومتصلة بمكبرات الصوت المُثبّتة عشوائيًا في بقايا الماكينات الصدئة. في مكان ما كان أفراد «لو تكس» لديهم أجهزة تضخيم الصوت وجهاز مزج أصوات، ولاحظت أشكال أجهزة التكبير المُثبّتة وراء الثريات البيضاء الوحشية في الأعلى.

تصاعدت أصوات دقات طبول إلكترونية؛ كأنها ضربات قلب منتظمة، كأنها إيقاع بندول. خلعت «موللي» سترتها الجلدية وحذاءها الطويل، وأصبحت بقميص بلا أكمام يكشف الوشوم الباهتة التي حصلت عليها من «تشيبا سيتي» تغطي ذراعَيها النحيلتين. الجينز الجلدي الذي ترتديه راح يلمع تحت أضواء الثريات. ثم بدأت «موللي» الرقص. كانت تثني ركبتَيها، وتمس بقدمها البيضاء خزان الغاز المسطح، وبدأ «طابق القتل» يستجيب لها. كان الصوت الصادر عنهم كأن العالم قد انتهى، كأن الأسلاك التي تمسك السماء انقطعت وراحت السماء تهوي.

راح «القاتل» يواكب الرقص لبضع دقات من الطبول، ثم تحرك آخذًا في حسبانه حركة «الطابق» بدقة؛ كرجل يقفز من حجر مسطح إلى آخر في حديقة مُزيَّنة. سحب طرف إصبعه بأريحية رجل يقوم بمجاملة اجتماعية وطوّح به نحوها. تحت أضواء الثريات، مرق السلك عاكسًا أضواء قوس قزح. ألقت بنفسها فانبطحت ثم تدحرجت، ثم رفعت نفسها بسرعة كسوط يجلد الماضي، وبرقت مخالبها الحديدية في الضوء فيما بدا وكأنه طقوس آلية للدفاع عن النفس. تسارعت دقات الطبول، فتمايلت معها، وشعرها الأسود الوحشي حول عدساتها الفضية المصمتة، وفمها الدقيق ترتجف شفتاه من التركيز.

راح «طابق القتل» يهدر ويزمجر، بينما راح أفراد «لو تكس» يهتفون

متحمسين. سحب السلك وراح يلفه صانعًا دائرة قطرها نحو متر ملونة بألوان شبحية ويدفعه أمام صدره بيده مبتورة الإصبع؛ كان قد صنع درعًا. بدا وكأن «موللي» ترغب في أن تُطلِق شيئًا ما، شيئًا ما يعتمل في صدرها، وهذا ما بدأ رقصتها المجنونة. راحت تثب، وتتلوَّى، وتعدو في الممرات الجانبية، ثم تهبط بقدمَيها على كتلة مُحرِّك معدني مربوط في أحد الملفات الزنبركية. وضعت يداي على أذنَي، وركعت في دوار الصوت، معتقدًا أن «الطابق» والمنصة في سبيلهما للسقوط لأسفل؛ لأسفل نحو «نايت تاون»، وأننا سوف نتمزق فوق الأكواخ، ويسيل دمنا وتتفجر أجسامنا فوق بلاطات الأرضية مثل الفاكهة المتعفنة! ولكن الكوابل صمدت، وارتفع «طابق القتل» فبدا كأنه بحر معدني، و«موللي» ترقص فوقه.

وفي النهاية، وقبل أن يقوم بحركته الأخيرة بالسلك، رأيت وجهه، وعليه تعبيرات لا تبدو وكأنها تنتمي إلى هناك.. ليس الخوف، ولا الغضب. أظنه كان النكران، الذهول الممتزج بعدم الفهم، مع اشمئزاز صافٍ مما يراه ويسمعه، وما حدث له. استرجع سلكه الدوار؛ فانكمش ذلك القرص شبحي اللون حتى صار في حجم طبق العشاء، قبل أن يطوح بذراعه كالسوط فوق رأسه ثم يهوي به نحو الأسفل، فتقوس السلك مندفعًا نحو «موللي» كأنه شيء حي.

تأرجح «الطابق» نحو الأسفل، فمرق السلك بالكاد فوق رأسها، ليُصبِح هو نفسه في مسار السلك المشدود. ولكنه مر فوق رأسه دون أن يؤذيه، قبل أن يرتد السلك إلى مكمنه في إصبعه قاطعًا الماس، ليضرب يده ويبترها لدى الرسغ. كانت هناك فجوة في أرضية «الطابق» أمامه فألقى بنفسه فيها مثل الغوَّاص، مثل محارب «كاميكاز» مهزوم مجروح الكبرياء، هاويًا نحو الأسفل، نحو «نايت تاون». بصورة جزئية، أظن أنه قام بهذه القفزة ليمنح نفسه بضع

ثوانٍ من الكبرياء الصامت.. لقد قُتِل بصدمة ثقافية!

راح أفراد «لو تكس» يهدرون، ولكن شخص ما أغلق مُضخِّم الصوت، ووقفت «موللي» صامتة في «طابق القتل»، مُعلَّقة في اللحظة، وجهها أبيض فارغ، حتى تباطأ تأرجُح المنصة، وهيمن صوت أنين المعدن الخافت الصادر عن احتكاك الصدأ بالصدأ. فتشنا «الطابق» بحثًا عن اليد المبتورة، ولكننا لم نجدها، كل ما وجدناه كان قوسًا محفورًا في قطعة من الحديد الصدئ، حفرة السوط إذ مر به. كانت حواف القوس لامعة كأنها من الكروم.

***

لم نعلم أبدًا إن كانت «ياكوزا» قد قبلت شروطنا، أو أنها تسلمت رسالتنا. بقدر ما أعرف، فإن برنامجهم ما زال في انتظار «إدي باكس» على رف في الغرفة الخلفية لمحل هدايا في الطابق الثالث من مجمع «سنترال 5» في «سيدني». ربما يكونون قد باعوا النسخة الأصلية إلى شركة «أونو سينداي» منذ بضعة أشهر. ولكنهم ربما يكونون قد استقبلوا بث «القرصان» بالفعل؛ لأنه لم يأتِ أحد للبحث عني بعد، على الرغم من مرور نحو عام. وإذا جاءوا، سوف يكون عليهم أن يتسلقوا طويلًا إلى أعلى عبر الظلام، وبين الحراس التابعين لـ«دوج»، كما أني لم أغدُ أشبِه «إدي باكس» كثيرًا هذه الأيام.

تركت «موللي» تهتم بالأمر باستخدام المخدرات المحلية، والآن أسناني قد قاربت على اكتمال النمو؛ فلقد قررت أن أبقى هنا في الأعلى. عندما نظرت إلى الخارج من «طابق القتل» قبل أن يأتي *القاتل المأجور*، رأيت كم كنت خاليًا من الداخل! وكنت أعرف أنني كنت أشمئز من كوني مجرد حاوية. الآن، أنا أتسلق هابطًا لأزور «جونز» تقريبًا كل ليلة. أصبحنا شركاء الآن، أنا و«جونز» و«موللي ميليونز» أيضًا. «موللي» تدير أعمالنا في «دروم»،

«جونز» لا يزال مدمنًا، ولكن لديه خزان أكبر بماء بحري يُجدَّد مرة كل أسبوع، ويحصل على مخدراته وقتما يشاء. لا يزال يتحدث إلى الأطفال باستخدام إطاره الضوئي، ولكنه يتحدث إليّ من خلال شاشة أضعها في الكوخ الذي استأجرته هناك، شاشة أفضل من تلك التي كانت لديه في الأسطول. وكلنا نجني أموالًا جيدة، حتى أفضل من تلك التي كنت أجنيها من قبل؛ لأن «سكويدز» التي يمتلكها «جونز» تستطيع قراءة أيّ شيء اختزنه أحدهم في رأسي ذات يوم، ويخبرني بها عبر الشاشة باستخدام لغة أستطيع قراءتها. وهكذا، عرفنا الكثير عن عملائي السابقين، ويومًا سوف أقوم بجراحة لإزالة كل المكونات السيليكون التي في رأسي، وأعيش مع ذكرياتي الشخصية لا ذكريات الآخرين؛ كما يعيش الناس، ولكن ليس قبل فترة من الوقت.

في الوقت الحالي، إنه لحسن حظًّا أن أبقى هنا في الأعلى، في الظلام، أدخن لفائف التبغ الصينية، وأستمع إلى صوت المكثفات التي تقطر من السقف. المكان عادةً هادئ هنا، حتى يقرر فردان من «لو تكس» أن يرقصا في «طابق القتل». إن الأمر تعليمي أيضًا، مع «جونز» الذي يساعدني أن أستخرج هذه الذكريات من عقلي، وسوف أصبح الفتى الأكثر مهنية في المدينة.

الكاتب

«ويليام جيبسون» William Gibson (1948): روائي كندي أمريكي، يُعرَف بأنه من رواد «الخيال العلمي السيبراني». أعماله تدور معظمها في المستقبل القريب في عوالم مظلمة تهيمن عليها تقنية المعلومات، والجراحات البلاستيكية، وزراعة الأعضاء البديلة، وعالم ما بعد الصناعة والرأسمالية. يُعزَى له فضل صك مصطلح «الفضاء السيبراني» Cyberspace؛ الذي ذكره لأول مرة في قصته «الكروم المحترق». من أهم أعماله: رواية «نيورومانسر»، و«العدد صفر»، و«تجاوُز الموناليزا»، والتي شكَّلت ثلاثية واحدة عُرِفت باسم «ثلاثية التمدد». تحولت بعض أعماله إلى السينما والتلفزيون، منها: فيلم «جوني ذو الذاكرة»، و«فندق الوردة الجديد»، واللذان قام بكتابة نصَّيهما بنفسه، كما شارك في كتابة بعض حلقات مسلسل الخيال العلمي الشهير «الملفات السرية» The X-Files. نالت أعماله جائزتَي «نيبولا»، و«هوجو» أكثر من مرة. عام 1999 وصفته صحيفة «الجارديان» بأنه: «من المُحتمَل أن يكون الروائي الأكثر تأثيرًا في العقدين السابقين».

المترجم

وسام الدين محمد عبده: أكاديمي ومترجم وكاتب مستقل. وُلِد في الإسكندرية عام 1974. يحمل درجة الدكتوراة في العلوم البيئية، وعمل أستاذًا في جامعات مصرية وعربية. يهتم بالشأن الثقافي العام، وبصورة خاصة الخيال العلمي والتاريخ والفلسفة، له العديد من الدراسات والمقالات الفكرية المنشورة في مجلات ومواقع مختلفة، وشارك في مجموعة قصصية لكُتّاب الخيال العلمي العرب صدرت باسم: «خيال علمي 1» عن دار «ناشري» الكويتية. من ترجماته: «فرويد: أعماله وحياته» عام 2010. ومن ترجماته مع دار «منشورات ويلز»: رواية: «الطاعون القرمزي» للكاتب الأمريكي «جاك لندن» عام 2017، ورواية: «الشيء القادم من عالم آخر» للكاتب الأمريكي «جون و. كامبل».

يُسعِدنا أن نتلقى ملاحظاتكم واقتراحاتكم على إصداراتنا التجريبية الأولى

على عنوان البريد الإلكتروني: manshuratwells@gmail.com

الملاحظات

[←1]

«جوني ذو الذاكرة» Johnny Mnemonic: قصة قصيرة نُشِرت في عدد مايو 1981 من مجلة Omni حُوِّلت إلى فيلم سينمائي بنفس الاسم، عُرِض عام 1995 قام ببطولته الممثل «كيانو ريفز»، وأخرجه «روبرت لونجو».

[←2]

«ياكوزا»: كلمة يابانية تُستخدَم للإشارة لعصابات الجريمة المُنظَّمة اليابانية. يشتهر أفراد هذه العصابات، بقطع إصبع الخنصر؛ دلالةً على الولاء للعصابة، وتغطية جسمهم بالوشوم. اليوم، تنتشر عصابات «الياكوزا» في اليابان (موطنهم الأصلي)، والولايات المتحدة، وكوريا.

[←3]

«أبناء الأقحوان المتألق»: اسم إحدى عصابات «ياكوزا» الشهيرة.

[←4]

كلمة «Squids» تعني: الحبّار.

[←5]

«تشيبا سيتي»: مدينة في اليابان، في جزيرة «هونشو»، تقع شرق العاصمة طوكيو.

[←6]

«تريادز» Triads: عصابات الجريمة المُنظَّمة الصينية.

[←7]

«يونيون كورس» Union Corse: عصابات الجريمة المُنظّمة الفرنسية.

[←8]

«جارجويل» Gargoyle: وحوش مُتخيّلة استخدمها المعماري الأوروبي الكلاسيكي في تزيين واجهات الأبنية، وربما استُعمِلت كميزاب ناتئ لصرف الأمطار عن سطح البناء.

[←9]

«سيبراني» Cyber: لفظ يُستخدَم لوصف أنظمة حاسوبية مُوزَّعة عبر شبكة الإنترنت، وتتميز بالعديد من الميزات، مثل: الذكاء الصناعي، والقدرة على صيانة نفسها بنفسها، يعتقد العديد من العلماء أنها المرحلة التالية من تطوُّر الأنظمة الحاسوبية.

[←10]

«سايبورج» Cyborg: كلمة منحوتة من كلمتين: Cybernetic وOrganism ، ابتكرها عام 1960 العالمان «مانفريد كلاينز»، و«ناثان كلاين»؛ للدلالة على الكائن السيبراني، نوع من الروبوتات التي ترتبط بنظام سيبراني، وتتمتع بخصائص هذا النظام.

[←11]

«ستايروفوم» Styrofoam: مادة صناعية يمكن تشكيلها بالحرارة، تُستخدَم في التعبئة والتغليف والعزل.

[←12]

«قبة فوللر» Fuller Dome: بناء معماري على شكل شبه كرة من الحديد والزجاج غالبًا، ابتكره المعماري والمخترع الأمريكي «بكمينستر فوللر» في خمسينيات القرن العشرين، وغالبًا ما تُستخدَم قباب «فوللر» كصوبات زجاجية متقدمة لمحاكاة أنظمة الحياة.

[←13]

«الكربيد»: مُركّب كيميائي من الكربون وعنصر أقل سالبيةً كهربيةً من الكربون، مثل: التنجستين، والسيليكون، والماغنسيوم. وتُستخدَم أنواع «الكربيد» في مختلف الصناعات.

[←14]

«الإيبوكسي» Epoxy: مادة كيميائية مُخلّقة، راتينجية القوام، تتصلب بالحرارة، شديدة الالتصاق، وشديدة المقاومة للحرارة والمؤثّرات الكيماوية. تُستخدَم في إنتاج مواد الطلاء ومواد البناء.